

خطاب جلالة الملك

بمناسبة الذكرى التاسعة عشرة لعيد الإستقلال

الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه

شعبي العزيز

لم أكن لأترك هذه الفرصة تمر، فرصة أيامنا الخالدة وأعيادنا الماجدة، دون أن أنتهزها لحوارك واللقاء بك علماً مني ويقيناً أن لقاءاتنا وحوارنا كان لهما دائماً الجدوى المنتظرة والأثر المستحسن.

اللقاء بك والتحاور معك أولا لأهنئك شعبي العزيز، بنجاح مؤتمر القمة العربي السابع، لأن النجاح كان نجاحك، ولأن الفوز كان فوزك، ولأن ملكك لم يكن له أن يقوم بأي شيء لو لم يحس بأنه مدعم قلباً وقالباً، وبأنه مشجع سلفاً بشعبه الذي أعرب مراراً وتكراراً عن عروبته، وعن شدة تعلقه بمبادىء الدين والإسلام، كما أن النجاح لهذا المؤتمر كان كذلك نتيجة لإنسجام الكل والجميع، جميع المسؤولين على جميع المستويات ومن جميع الإدارات، ذلك الانسجام هو الذي جعل ضيوفنا يرجعون الى بلادهم وألسنتهم تلهج بآيات الشكر، وقلوبهم تفيض بأحاسيس الإعتزاز، ويسرني في هذه المناسبة أن أنوه رسمياً بجميع الذين سهروا على هذا المؤتمر مدنيين كانوا أو عسكريين، شرطيين أو أفراد القوات الاحتياطية أو رجال الدرك لأنهم يسروا لنا جميعاً أن نعمل وننتج في جو من التفاهم وفي جو من الطمأنينة، فلك شعبي العزيز مرة أخرى تهانئي على نجاحك ونجاح بلدنا، ولك مرة أخرى شكري على حسن سيرتك في تلك الأيام الخالدة التي ستجعل أنه لا يمكن أن يكتب تاريخ العرب دون أن يكون ذلك التاريخ مرتبطاً باسم المغرب، ودون أن يكون معقباً عليه بمؤتمر القمة السابع الذي انعقد بالرباط.

المغرب لا يخاف الرهان

هذا شعبي العزيز على الصعيد الدولي وهذا ما كان بالأمس، ولكنني أعلم أن علي واجبات، وتلك الواجبات تفرض علي أن لا أترك الناس يهيمون في بحر المسرات، بل إنني أواجههم مراراً وتكراراً مع المشاكل وأضعهم أمام ما ينتظرهم من عمل وجد وكد واجتهاد حتى يمكنهم أن يبقوا مسايرين للعصر، بل أن يتجاوزوا في بعض الميادين بعض الدول الأخرى المتقدمة في ميادين أخرى.

شعبي العزيز

في السنة الماضية، وفي مثل هذا الموسم تقريباً كنت قلت لك إن المغرب لا يخاف الرهان، وإن المغرب لا تصده العقبات، وإن المغرب لن يكتفي باسترجاع الأراضي فقط، بل سيستثمرها ويستصلحها حتى يجعلها تنتج 17 قنطاراً في الهكتار.. وقد حقق الله سبحانه وتعالى أمنيتنا وفزنا بالرهان، ونتيجة ذلك أننا لم نستورد من الخارج إلا مليون قنطار من الحبوب هذه السنة، وهذا شيء ضئيل، ومهم في آن واحد، ضئيل بالنسبة لما أنتجناه ولما كنا نستورده في السنوات الماضية، كنا كل سنة نستورد من سبعة ملايين أو ثمانية إلى عشرة ملايين، ومهم لأنه يظهر لي شعبي العزيز أنه إذا أردت فعلت، وإذا فعلت نجحت، أما مشكل اليوم فكيف هو مطروح ؟

لم يبق الرهان داخل حدودنا

أمس كان الرهان بيننا وبين أرضنا كان الرهان داخلياً، وكانت مقومات ذلك الرهان مقومات داخلية

كلها، وجلها كان بيدنا، أما اليوم فلم يبق الرهان داخل حدودنا، ويمكن القول بأن الرهان لم يبق موجوداً بصفة نهائية، بل أصبح عملية انقاذ، نظراً لما يحيط بالبشرية من مستقبل مهول من ناحية التغذية إذا لم تتخذ البشرية والمجتمع البشري القرارات وإذا لم يقم بالأعمال التي عليه أن يقوم بها حتى يمكنه أن يحول المخاوف آمالا.

كما تعلم شعبي العزيز... لن السكان يتزايدون في العالم يوماً بعد يوم، ولكن وسائل التغذية من مواد ضرورية من قمح، وسكر، وزيت، ولحم لم تكن مقننة على الصعيد الجهوي ولا على الصعيد العالمي، فنرى مثلا أن بعض الأسواق كالأسواق الأوروبية المشتركة كانت تتنافس دائماً فيما يخص الميدان الصناعي بالذات وكانت هذه الأسواق المشتركة لا تنظر إلى المشاكل الفلاحية إلا فيما يخص ناحيتها السلبية.

وكنا كذلك نرى أن أمريكا وروسيا فيما إذا وقع بينهما تقارب أو نزاع، فحول أي شيء يقع التقارب أو النزاع ؟ حول النقص من القنابل الذرية وحول التحديد من الأسلحة النووية.

وهكذا لم ينظم العالم إقليمياً ولا على مستوى القارات كما نظم معاملاته الأخرى، لم ينظم هذا الميدان الذي هو ميدان التغذية، حتى أصبح العالم بين ليلة وصباحها مجابهاً لهذا المشكل، هذا المشكل الذي يجعل جميع الناس يتنبؤون أنه في السنوات المقبلة سيكون إنتاج الحبوب أقل بكثير مما يتطلبه المستهلك.

أما بالنسبة للمغرب، فما هي الإنعكاسات على هذه الحالة ؟

20 قنطاراً في الهكتار أو أكثر..

بالنسبة للمغرب الإنعكاس يستوجب أولا : أننا لا نقنع هذه السنة بسبعة عشر قنطاراً للهكتار... يجب علينا أن نقرر أن يكون الإنتاج هذه السنة عشرين قنطاراً للهكتار أو أكثر وهذا شيء ضروري لا مناص منه..

والنتيجة لهذا كله فيما يخص المغرب أنه إذا ما اتبعنا الأسعار واتبعنا الإنتاج الموجود في العالم سنكون مثل ذلك الذي أكل رأسماله، بمعنى أنه عوض أن يترك زرعه ويأكل سنبلته، يأكل زرعه وهو لا يزال كلأً مُخضراً.

فإذا ما أردنا أن نتعرف على المبالغ التي أداها صندوق الدولة لكي نشتري المواد التي نستهلكها من الخارج لسد حاجياتنا نجد أنه في سنة 1974 أدى صندوق الموازنة 163 مليار هذا القدر مبنية أثمانه على الأثمان القديمة فيما يخص المواد التي استوردناها.

وإذا ما بقينا على هذا المنوال فالمنتظر بارتفاع الأثمان والأسعار المستمر، ان نستورد سنة 1975 من الخارج ما يعادل 256 مليار، وهذا القدر هو ما يقارب ميزانية التجهيز.

لن نأكل دخلنا القومي

وهكذا سنأكل دخلنا القومي وإنتاجنا القومي وما دره الله سبحانه وتعالى علينا من خيرات، وبالأخص من الناحية الفوسفاطية، سنأكله ولا نبني به ولن نجهز به البلاد.

وكما في علمكم فالمنتظر من الفوسفاط أن يدر من 400 إلى 450 مليار سنوياً وكما تعلمون فإن ميزانية التسيير عندنا تقتضي من المغرب دفع مليارين يومياً من خزينة الدولة لأجور الموظفين.

ويمكن القول اننا غطينا ميزانية التسيير بمدخول الفوسفاط، وتبقى مداخيل أخرى مثل الضرائب والجمارك وعدة مسائل، ومثل الإنتاج الصناعي فإذا ما أكلنا إنتاجنا الصناعي سكراً وزيتاً وقمحاً، سنكون دولة تسير القهقري، ولن نساير القرن العشرين، ولا يمكننا القيام بالدور المطلوب منا القيام به، وسنصير في الحقيقة مهزلة بالنسبة للأجيال المقبلة.

يمكن لك شعبي العزيز أن تقول ان هذه مسألة عالمية، وإن هذا المشكل مشكل مطروح على الصعيد العالمي، وإذاً فما على المغرب أن يعمل في هذا الباب ؟

المغرب عليه الكثير مما يجب عليه القيام به، وسأعطيك شعبي العزيز بعض الأرقام وبعض التوجيهات، كما أنني سأطلعك على بعض القرارات التي اتخذتها وأعطيت في شأنها الأوامر.

الحل .. أن ننتج سكرنا كله..

إذا أردنا أن نطرح قضية السكر مثلا، نجد أن السكر يشتريه المستهلك بـ 180 سنتيم للكيلو، ونحن نستورده من الخارج بـ 700 سنتيم للكيلو، ولكن هناك سكراً آخر هو السكر الذي ننتجه، فكم يكلفنا ؟ يكلفنا 200 سنتيم للكيلو، بحيث أن الفرق بين الكيلو المستهلك والكيلو المستورد من الخارج هو 520 سنتيم، إذن الحل هو أن ننتج سكرنا كله مئة في المئة.

أرقـــام... أرقـــام...

نحن الآن ننتج 290.000 طن من السكر واضطررنا لاستيراد 270.000 طن من السكر من الخارج، أدينا عليها 36 مليار سنتيم، ولكن في السنة المقبلة سيكون من المنتظر أن نؤدي 125 مليار لكي نأتي بحاجياتنا من الخارج.

وفيما يخص الزيت مثلا : الزيت أدينا عليه 25 ملياراً هذه السنة، وفي السنة المقبلة من المنتظر أن يصل المبلغ إلى 44 ملياراً، ولما أتحدث عن الزيت لا أتحدث عن زيت الزيتون فقط، لو كان الأمر يتعلق بزيت الزيتون لتذاكرت معكم في الموضوع، علماً مني أن زيت الزيتون يتطلب الوقت لكي تثمر الشجرة، وعلماً مني أنه حتى ولو كانت الشجرة مثمرة، فإنها تُثمر سنة وتتخلف أخرى، ولكن أتحدث عن الزيوت كلها، الزيوت التي تنبت كنوارة الشمس التي تنبت في عام وتعطي زيوتها ثم يعاد حرثها..

ونأخذ القمح، القمح ننتجه هنا ويكلفنا 33 سنتيم للكيلو، هذا هو معدل ما ينفقه الفلاح لإنتاج القمح، فبكم نستورده من الخارج ؟ نستورده بـ 120 سنتيم للكيلو، حتى القمح يمكن لنا أن لا نستورده من الخارج، بل يمكن لنا أن نعمل على تصديره للخارج.

وهكذا شعبي العزيز يمكن لك أن تلمس مدى الهاوية التي توجد أمامنا، والتي هي أمام العالم كله.. ولكن أمامنا فيما إذا بقينا نسير وأعيننا مغمضة لا ننظر إلا إلى السماء، بمعنى لا ننظر إلا إلى المشاكل الفارغة وإلا إلى المناقشات العقيمة ونترك الأرض التي نمشي عليها، ويوماً ما يمكن أن نسقط في هاوية وتكون هذه الهوة لا قدر الله عميقة جداً.



وهذه هي الحلـــول

الحلول : الحلول شعبي العزيز تقتضي منا جميعاً، منك ومن الإدارة تغييراً جذرياً فيما يخص النظر إلى المستقبل.

وبإمكاني أن أنظر معك إلى أبعد من هذا كله، وأنا شخصياً أملي في الله عظيم، فنقول اننا سنجد البترول في السنة المقبلة، وأن 450 مليار التي سيصدرها الفوسفاط سيمكننا أن ندخل ملايير أخرى من البترول، لكن أقول لك شعبي العزيز ان هناك ظروفاً يكون فيها المرء متوفراً على الأموال ولكن لا يجد شيئاً، وهذه هي حالة السوق العالمية : دول مثرية جداً، دول لها إمكانات من العملات الصعبة، تذهب للأسواق لكي تشتري القطن، وتشتري الخشب أو تشتري القمح أو تشتري الزيت مع أن أموالها في يدها ولا تجد شيئاً.

المـــال... والأرض والعزيمـــة

ولكن نحن والحمد لله أموالنا في أيادينا وأرضنا في أيادينا ما فوقها وما تحتها، وعزيمتنا بأيدينا وتفكيرنا مغربي قح، وتحليلنا للواقع المغربي هو تحليل لا ينبني على ديماغوجية ولكن ينبني على الواقع.

فلهذا شعبي العزيز أدعوك وأدعو الإدارة، كما أنني أدعو الناس جميعاً إلى أن يغيروا في طريقتهم، وذلك للتقليل من جهة من استهلاك المسائل غير الضرورية، ومن جهة أخرى لإعادة النظر فيما يتعلق بالإنتاج الفلاحي على الخصوص.

الإنتاج الفلاحي مفتاح المغرب

وكنت أقول لك دائماً شعبي العزيز إن الإنتاج الفلاحي هو مفتاح المغرب، ولا تنس أن للمغرب ما يفوق سبعة ملايين هكتار بور، وأن في إمكانه أن يحقق مليون هكتار سقوي، ولا تنس شعبي العزيز أنه حسب التخطيطات التي وضعت والبحوث التي جرت يمكن لدخل المليون هكتار السقوية فقط أن يعيش به ثلاثون مليون نسمة ويفيض عن الحاجة إنتاج 500.000 هكتار للتصدير وللبيع.

فإذا نحن أضفنا إلى هذا المليون هكتار دخل تسعة ملايين أو ثمانية ملايين هكتار من الأراضي البور لنعيد النظر في فلاحتها، وإذا نحن أعدنا النظر في طريقة تسويق إنتاجنا، لي اليقين أن المغرب سوف يصبح قلعة منيعة وسوف يصبح قبلة ينظر إليها الجميع بالإعجاب والتقدير والإحترام.

الرهـــان : ثـلاث سنوات

لهذا شعبي العزيز يجب علينا في السنوات الثلاثة المقبلة أن نحقق رهاناً، رهاناً مهما وأنه في السنوات الثلاثة المقبلة لابد أن نكون قد حققنا إقامة ستة مصانع للسكر وجهزنا لهذه المصانع ومعامل السكر المساحة السقوية الضرورية لها.

ستقول : كيف يمكن أن نحقق ذلك ؟

الجواب سهل، بالطبع إذا ما بقينا نسير بوسائلنا القديمة وبالطريقة القديمة فلن نصل، ولكن قررنا كجميع الدول وبعض الدول الإشتراكية نفسها أن نكلف شركات عالمية لتأتي بالآلاف من تقنييها ومئات من مهندسيها،



واليد العاملة متوفرة عندنا ولله الحمد، معامل القنوات عندنا ولله الحمد السدود الموفرة للماء موجودة ولا ينقصنا إلا مد القنوات، والأراضي خصبة ولله الحمد.

قررنا أن نضع تخطيطاً، ونبحث عن خمس أو أربع شركات عالمية معروفة ونبرم معها عقدة مباشرة لكي تقوم كل واحدة منها في ظرف عام أو عام ونصف بتشييد معمل أو معملين، وتجهز لنا ناحية أو ناحيتين صالحة للري، وصالحة للسقي، وصالحة إما للشمندر وإما لقصب السكر لتلك المعامل.

سد جديد.. وقنوات لسد إدريس الأول

وإذا نحن لم نثب هذه الوثبة، وإذا بقينا نسير بالخطة التي نسير بها سواء من حيث التفكير أو التسيير فأنا شخصياً لا يمكنني أن أتحمل هذه المسؤولية الجسيمة، وهي مسؤولية العلم ومسؤولية عدم العمل.

فالإنسان يمكن أن تكون مسؤوليته ضئيلة أو صغيرة إذا لم يكن يعرف، ولكن إذا كان يعرف ويحس فمسؤوليته كاملة على جميع الآفاق، فلهذا أعتقد شخصياً أنه لا أنت ولا أنا بإمكاننا أن نتحمل هذه المسؤولية، علماً منا أنه إذا ما بقينا نسير على هذا الطريق فلن تؤدي بنا سوى إلى المصيبة.

السنة المقبلة سندشن سد سيدي شحو إن شاء الله، وسنضيف بذلك 60 ألف هكتار، وكذلك سنمد قنوات سد إدريس الأول لري 90 ألف هكتار، والسنوات المقبلة إن شاء الله سنشرع في سد المجارة لسقي 110 ألف هكتار وستكون كلها أراضي لزراعة قصب السكر، زيادة على ما قررنا من سدود أخرى كالوادي الأخضر، وسيدي إدريس، ووادي يسّن، ووادي النكور.

ضروريــات.. لا اختيــارات

شعبي العزيز لن أطلب منك تضحية، ولن أقول لك إنني سأرفع من ثمن بعض المواد، هذه طريقة سهلة، ونحن لا نريد الطريقة السهلة لأنها طريقة سطحية، ولكن أضعك لا أمام اختيارات، ولكن أمام ضروريات.

لسنا شعبي العزيز كما كنا في الماضي موضوعين أمام اختيارات، نحن اليوم أمام اضطرارات، فإما أن نستمر فنعيش فننمو فنبقى سائرين على المستوى الذي نريده لشعبنا على الصعيد الإفريقي والعربي والإسلامي والدولي، وإما أن نتعثر فنصبح دولة تدق أبواب الناس تطلب منهم قوتها اليومي فاقدة حريتها وسيادتها وكرامتها، إنني لأنزه شعباً كشعب المغرب أن يدق الأبواب ليطلب قوته اليومي، والحالة أن الله سبحانه وتعالى قد أعطاك يا شعبي رصيداً من الأرض الفلاحية لا مثيل لها، أعطاك رصيداً من المياه ومدخرات من المياه لا مثيل لها، وفوق هذا أعطاك يداً عاملة للفلاحة مطلوبة في العالم بأسره.

ألا تعلم أن هناك دولا في أوروبا وأمريكا الجنوبية لا ينتظرون إلا شيئاً واحداً : أن يقبلوا عمالا فلاحيين في أراضيهم حتى يمكنهم أن يُعلّموا السكان والمواطنين فن الفلاحة ؟ ألا تعلم أن عدة دول عربية طلبت مني أن أرسل إليها بعض الأطر الفلاحية حتى تؤطر مواطنيها وحتى تكون بمثابة أساتذة فلاحيين ؟

أوتينا الماء والأرض، وأوتينا الفلاحين، وأوتينا قبل كل هذا قوة عظيمة ألا وهي الطموح.

إنكم لستم أبداً شعباً متقاعساً قانعاً، شعباً يقال فيه :



دع المكـــارم لا ترحـــل لبغـــيتها   واقعـد فـإنك أنت الطاعـمُ الكـاسي

مفتـــاح استقلالنـــا

بالعكس كنا دائما وما زلنا وسنبقى شعباً طموحاً، لذا علينا كما قلت لك أن نغير وسائل كثيرة في تفكيرنا وأن ننظر لمشاكل المستقبل، مُعطين الأسبقية ومولينها لهذا القطاع، لأنه قطاع بمثابة مفتاح لاستقلالنا ولكرامتنا، لماذا نحن محترمون ؟ لأن المغرب مستقل، لماذا تسمع لنا الكلمة، لأن المغرب مستقل. . لماذا تقصد رحاب المغرب من كل حدب وصوب حتى أصبح يقال عن المغرب : جو الرباط ؟ لأن المغرب مستقل.. لماذا يمكن لكل واحد منا أن يفتخر ؟ لأن المغرب مستقل.

وإننا لنريد أن نبقى هكذا مستقلين حتى نضمن لأبنائنا أن يكونوا مستقلين كما عشنا كذلك.

مطالبون في المستقبل بواجبات

من غير شك شعبي العزيز أنك أدركت أهمية هذا الخطاب، من غير شك شعبي العزيز أنك تشاطرني مخاوفي، ولكن ولله الحمد لم تكن مخاوفي ولم تكن مخاوفك قط من تلك المخاوف السلبية التي لا تترك للبشر حركة ولا نشاطاً، بل كانت تخوفاتنا دائماً بمثابة الحافز الذي يدفعنا إلى العمل، ولا سيما شعبي العزيز أننا مطالبون في المستقبل بواجبات عديدة تجاه قارة، تجاه أسرة وهي الأسرة العربية، تجاه قارة وهي القارة الإفريقية، تجاه إخوان هم إخواننا في الدين، وتجاه أقارب سوف نلتقي بهم ويلتقون بنا إن شاء الله وهم إخواننا في الصحراء، فلا يمكننا إذن أن نقوم بأعبائنا ولا أن نقوم بواجباتنا إلا إذا كنا مستقلين قادرين على أن نتحرك في الوقت الذي نريد أن نتحرك وفي الميدان الذي نختاره للتحرك، وقادرين على التحرك بالوسائل التي نكون قد اخترناها.

هل تعلم شعبي العزيز أن المغرب لم يطالب إلى حد الآن بشيء ؟ لم يعوض ولو بسنتيم واحدعما ضاع له في حرب أكتوبر الماضية ؟ لا من عتاد ولا من مؤونة ولا من مال، ومع ذلك، غداة الإنتصار أصبحنا نخطط من جديد لنستعيد للقوات المسلحة الملكية عدتها وأجهزتها وأسلحتها متطورة جديدة أحسن من التي فقدتها وذلك من مالنا ومن صندوقنا، ففي الوقت الذي ندفع فيه المال لتجديد أسلحتنا، هل سمعت شعبي العزيز، أننا أقفلنا ورشاً كان مفتوحاً ؟ هل علمت أو سمعت أننا حذفنا من التخطيط طريقاً كان من المقرر أن تفتح ؟ هل سمعت أو بلغك أننا قررنا تأجيل بناء ثانوية في مكان ما ؟ أبداً، بقينا على سيرنا وعلى سرعتنا وفي علو المستوى الذي قررناه مضيفين أثقالا وأعباء أخرى غير منتظرة إلى أعبائنا وذلك لأننا كنا دائماً نحسن التصرف سائرين إلى الإنتاج لا إلى الإستهلاك.

أنا لست من الذين يتقشفون فكرياً ويقولون : عيب أن يكون المغرب مجتمع استهلاك، أنا أقول لا، المغرب إذا لم يكن مجتمع استهلاك فسيكون مجتمعاً فقيراً.

الإستهـــلاك والإنتـــاج

وعلى كل حال فكلما أمكن أن نوسع على المغاربة فواجبنا أن نوسع عليهم، ولكن يجب أن يكون الإستهلاك نتيجة الإنتاج، ويجب أن يكون هذا الإستهلاك أقل من الإنتاج، فإذن ومن أي زاوية أخذنا المشكل فلابد من الإنتاج، لأنه حتى ولو كانت لنا الأموال فقد لا نجد في السوق ما نريد، لابد من الإنتاج، لأن الإنتاج هو الذي يجعلنا في حل من طرق بعض الأبواب ومن طرق الباب أولا لا يعرف ماذا سيكون الجواب، وحتى



إذا كان الجواب نعم ففي هذه الحالة لا يدفع عن ذلك الجواب بنعم مالا، ولكن يدفع في مقابله تنازلات واختيارات سياسية في الإتجاهات الدولية، وهذا شيء لم يقبله المغرب ولن يقبله.

المعركـــة الجديـــدة

شعبي العزيز

كما احتفلت في الأيام الثلاثة السابقة بعيد الإستقلال أدعوك إلى معركة أخرى لا لتدعيم الإستقلال، بل لفتح آفاق جديدة للإستقلال.. كان الإستقلال الذي نحتفل به استقلالا قانونياً، استقلالاً داخلياً، استقلالاً يعيد لنا شخصيتنا ويعيد لنا حرية تصرفنا، ولكن الإستقلال الذي أدعوك إليه وإلى خوض معركته، هو استقلال التصرف الخارجي لك استقلالك في تصرفك الداخلي، قوانينك مغربية محاكمك مغربية مدارسك مغربية، كل شيء لك وكل شيء منك.. ولكن هذا الإستقلال في هذه السنين من القرن العشرين لا يكفي إذا لم يكن مقروناً باستقلال في التصرف الخارجي.

فإذن شعبي العزيز إلى معركة استقلال التصرف الخارجي.. تلك المعركة لابد لها أن تمر من الإنتاج، والإنتاج لابد له من سواعدك، وسواعدك لابد لها من اقتناعك، واقتناعك لابد له من هداية الله سبحانه وتعالى.

«ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة، وقِنا عذاب النار».

والسلام عليكم ورحمة الله.

ألقي بالرباط

الثلاثاء 4 ذي القعدة 1394 — 19 نونبر 1974